

خطاب الكراهية في اوساط الشباب
جنور الظاهرة ودور جائحة كورونا في تجاوزها

اعداد الدكتورة كوثر الزغلامي

الجزائر

koukittazoghلامي@gmail.com

خطاب الكراهية في اوساط الشباب : جذور الظاهرة ودور جائحة كورونا في تجاوزها

تقديم

شكل خطاب الكراهية على مر التاريخ مصدر تهديد للسلم والأمن في العلاقات المجتمعية وحتى الدولية، و تزايدت حدته بشكل غير مسبوق مع تطور بنية النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمختلف الكيانات، حتى أصبح من بين القضايا و الأولويات التي تطرح على أجندة الدول، خصوصا في العهد الحديث وما صاحبه من تطور في أنظمة المعلومات حيث تم استغلال هذه التكنولوجيا من طرف المتعصبين و المنتجين لخطابات الكراهية و التطرف.

فرغم ما شهده العالم العربي من فضاء عام وواسع من التعبير وحرية الرأي، إلا أن هذا الفضاء لا ولم يخلو من حالة التخبط والإستقطاب والإنحيازات الحادة التي وجدت في العشرية الأخيرة في ظل التواصل المباشر عامة وفي ظل ساحات التواصل الاجتماعي على الانترنت خاصة، والقدرة على الوصول والانتشار ومحاولة كل فريق يسعى لفرض سيطرته إلى استخدام نفس العوامل والساحات للوصول إلى أكبر عدد من الجمهور والتأثير به، شاهدنا كل يوم خطابات تحمل الكثير من العنصرية والتحريض والانتقاص والتحقير من الآخرين على اساس الجنس أو الدين أو الرأي السياسي . وشهدناه مع كل حالة عنف طائفي بداية من تعليقات على مواقع التواصل الاجتماعي وحتى دعوات تحريضية من فصائل، شهدناها في وصم التيارات السياسية لبعضها البعض و بث ثقافة التعصب و الانحيازات التي لم تقبل الآخر ولكنها لم تسفر عن أعمال عنف إلى أن وصلنا إلى زمن أصبح يطلق عليه "زمن الكورونا" حيث تقاومت هذه الظاهرة في أماكن وتقلصت في أماكن أخرى.

صياغة المشكلة

يحضر خطاب الكراهية والتطرف بين فئة الشباب حضورا مكثفا، لا يمكن أن يضاهى حضوره بين أفراد باقي الفئات العمرية، ومن منطلق أن صناعة الكراهية بين المجتمعات و بين أفراد المجتمع الواحد، أصبحت إحدى أهم أدوات الجيل الرابع و ذلك باستخدام القوى الناعمة المتمثلة في توجيه و تمويل وسائل الإعلام، ووسائل التواصل الاجتماعي و منظمات المجتمع المدني، وهي الظاهرة التي انتشرت في العشرية الاخيرة. حيث سممت أرواح البشر بالطمع، الجشع، والتعصب مما أدى إلى تحصن العالم بالكراهية، بل

الهيئة الدولية للتسامح

تصاعد الوضع إلى البؤس وسفك الدماء خاصة في وطننا العربي، و ذلك بعد أن أدى هذا التعصب إلى ظهور جماعات ارهابية تسلب حق الحياة عن الاخر .

و انطلاقا مما سبق، يمكن صياغة إشكالية الموضوع كالتالي:

إلى أي مدى يمكن للشباب تمييز الخط الفاصل بين حرية التعبير وعدم الانسياق في ترويج خطاب الكراهية؟ وهل يمكن القول أن جائحة كورونا ساهمت في شجب ودعم خطاب الكراهية في آن واحد؟

و حتى يستقيم عمل هذه الورقة في تمفصلاته المحورية، يجب الإجابة على التساؤلات الضمنية الفرعية التالية:

- من يصنع هذه الكراهية في الخطاب و لماذا؟ و ما هي اسباب و دوافع هذه الكراهية في الخطاب؟ و هل يمكن الحد منها و تجاوزها؟

- و ما هي العوامل المباشرة والخفية التي تقف وراء انسياق الشباب وراء دعوات التطرف والانخراط في ترويج خطاب الكراهية، كيف يحصل ذلك بين صفوف الشباب؟ وأي دور للوسائط الاجتماعية وشبكات التواصل الحديثة في الانتشار المتزايد لهذا الداء بين جزء من الفئات الشابّة؟ وهل ما تزال الفرصة مواتية لاستدراك ما فات والحد من انتشار التطرف وخطاب الكراهية؟

- و هل نجحت القوى الناعمة في استغلال أزمة جائحة كورونا في زيادة تقاوم هذه الظاهرة، أم أن أزمة كورونا هي التي نجحت في تقليصها نوعا ما و نشر قيم التسامح في ما بيننا؟

أصول المفاهيم و المصطلحات

إن الوعي بأصول المفاهيم والمصطلحات ومصادرها و تاريخ ميلادها يعد شرطا و مدخلا منهجيا رئيسيا لتضييق دائرة الخلاف في طرق استخدامها في الدراسات العلمية. و قد أشار عالم الاجتماع الفرنسي "إدغار موران" (edgard morin) إلى أن التطور المعرفي، لم ينتج أبدا مزيدا من التجريد بقدر ما اتجه نحو مزيد من موضعة المعارف و حدود صلاحياتها¹.

ومن شروط فهم تشكلات ظاهرة خطاب الكراهية، هو الإنطلاق من معاينة البيئة الإقليمية والدولية الحاضنة لها حتى نعرف العلاقة الجدلية بينها وبين تعبيراتها المختلفة في بعديها الزماني والمكاني. فعدم أخذ السياقات المكانية والزمانية و تحولاتها في الاعتبار، قد يؤدي الى حدوث تداعيات كبيرة، وإلى سوء فهم أسباب هذه الظاهرة وأهدافها الحقيقية.

لذا، فإن قراءة السياقات المكانية والزمانية المنتجة للخطابات العنفية و المكروهة و دلالاتها، تشكل عاملا مهما في فهم الظاهرة الموصوفة، و معرفة دلالات المعنى العام لها، و أسباب تعددها و تغييرها من بلد لآخر. و نعتقد أن هذه القاعدة المنهجية وضمن

الهيئة الدولية للتسامح

الرؤية التاريخية – الجدلية سوف تمكننا من التمييز بين الأشكال المختلفة للعنف اللفظي اليومي المنتشر في المجتمع، وبين خطاب الكراهية باعتباره سلوكا له أهداف محددة (سياسية، اجتماعية، ثقافية و رمزية)، سواء كان في شكل خطابات عنفية ظاهرة أو خطابات ناعمة مندسة.

التمييز و خطاب الكراهية:

"التمييز": يقابله في اللغة الفرنسية *La discriminatin* و هو المصطلح القانوني المستخدم في المواثيق والعهد الدولية، لتعريف أي حالة يجري فيها استثناء أو تقييد أو تمييز لشخص أو لجماعة على أساس العرق أو اللون أو النسب أو الأصل القومي أو الإثني، بما يؤدي إلى الانقاص من تمتع هؤلاء بحقوق الانسان، أو يقيد الاعتراف لهم بها. فمثلا في السياق الصحفي، يمكن أن يتم ذلك عبر تأطير الأشخاص أو المجموعات بصورة سلبية بناء على هويتهم، وبغرض نشر الكراهية تجاههم، أو التحريض عليهم.

"خطاب الكراهية": *discours de haine* حيث لا يوجد تعريف دقيق لخطاب الكراهية ولكن يمكننا تعريفه بشكل عام بأنه بث الكراهية والتحريض على النزاعات والصراعات الطائفية والإقليمية الضيقة والتحريض على انكار وجود الآخر وانسانيته و تهميشه و نشر الفتنة و استخدام أساليب الفرقة و اختيار الكلمات النابية و الصوت العالي ضد طائفة دينية أو عرقية و الحض على العنف و اتهام الطرف الآخر بالخيانة و الفساد.

رغم اختلاف تعريفات خطاب الكراهية، فإن هذا الخطاب حتى يعد خطاب كراهية يجب أن يكون متعمدا و موجها لغاية نشر أو ترويج أو حتى تبرير الكراهية تجاه جماعة عرقية أو قومية، أو أي شكل من أشكال الكراهية المبنية على التعصب².

يعرف التمييز بأنه: " أي تفرقة أو استبعاد أو تقييد أو تفضيل يقوم على أساس أي سبب كالعرق أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو غير السياسي أو الأصل القومي أو الاجتماعي أو الثروة أو النسب أو غير ذلك ،مما يستهدف أو يستتبع تعطيل أو عرقلة الاعتراف لجميع الأشخاص ،على قدم المساواة،بجميع الحقوق و الحريات او التمتع بها أو ممارستها"³ وقد اقترح مجلس أوروبا تعريف"الخطاب المحرض على الكراهية" بأنه: " جميع أشكال التعبير التي تنشر أو تشجع أو تيرر الكراهية العرقية أو كره الأجانب أو معاداة السامية أو غير ذلك من أشكال الكراهية المبنية على التعصب،بما فيها:التعصب المعبر عنه بالنزعة القومية والاعتداد بالانتماء الاثني والتمييز والعداء للأقليات و المهاجرين والسكان من أصل مهاجر"⁴

الهيئة الدولية للتسامح

مفهوم الشباب: concept de la jeunesse

أما المصطلح الثاني والمهم وهو "الشباب" فهو الآخر مصطلح متشعب حيث تختلف وجهة النظر العلمية للعلماء في التوصل الى تعريف محدد له نظرا لاختلاف وجهات النظر الايدولوجية بين الباحثين عليه: لا يوجد تعريف محدد للشباب، وهناك صعوبة في إيجاد تحديد واضح لهذا المفهوم، وعدم الاتفاق على تعريف موحد شامل، يعود لأسباب كثيرة أهمها اختلاف الأهداف المنشودة من وضع التعريف وتباين المفاهيم، والأفكار العامة التي يقوم عليها التحليل السيكولوجي والاجتماعي الذي يخدم تلك الأهداف. ورغم عدم وجود تعريف دولي متفق عليه عالمياً ، إلا أن الأمم المتحدة - ولأغراض إحصائية ودون المساس بأي تعاريف أخرى تضعها الدول الأعضاء - تعرّف "الشباب" على انهم الأشخاص ممن تتراوح أعمارهم بين 15 و24 عاما. ونشأ هذا التعريف في سياق الأعمال التحضيرية للسنة الدولية للشباب (1985) (انظر (A / 36/215))، وأقرته الجمعية العامة في قرارها 36/28 لعام 1981. وتستند جميع إحصاءات الأمم المتحدة بشأن الشباب إلى هذا التعريف، كما توضح الحولية السنوية للإحصاءات التي تنشرها منظومة الأمم المتحدة حول الديموغرافيا والتعليم والعمل والصحة.

إذا كان البلوغ حقيقة بيولوجية بحتة، فإن الشباب يعتبر حقيقة اجتماعية بالأساس بل هو يعد ظاهرة اجتماعية تشير إلى مرحلة من العمر تعقب مرحلة المراهقة، وتبدو خلالها علامات النضج الاجتماعي، والنفسي، والبيولوجي واضحة، ولعل أقرب تعريف إلى الحقيقة هو التعريف الاجتماعي الذي يقوم على تقسيم دورة حياة الإنسان إلى ثلاث مراحل تتوقف على مراحل النمو العضوي والنفسي، فهناك مرحلة الطفولة، ثم مرحلة التعليم وصقل المواهب في مرحلة الشباب وأخيرا مرحلة مواجهة الحياة وتحمل مسؤولياتها وضغوطها الاقتصادية والاجتماعية وتشغل جزءا من مرحلة الشباب وما بعد مرحلة الشباب.

و لحوصلة مفهوم الشباب فاننا نستشهد بما قاله عالم الاجتماع الفرنسي "بيار بورديو": Pierre Bourdieu :

La « jeunesse » n'est qu'un mot"

ما هو فيروس كورونا؟

فيروسات كورونا هي سلالة واسعة من الفيروسات التي قد تسبب المرض للحيوان والإنسان. ومن المعروف أن عدداً من فيروسات كورونا تسبب لدى البشر أمراض تنفسية تتراوح حدتها من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد وخامة مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية (ميرس) والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة (سارس). ويسبب فيروس كورونا المُكتشف مؤخراً مرض كوفيد-19.

الهيئة الدولية للتسامح

ما هو مرض كوفيد-19؟

مرض كوفيد-19 هو مرض معد يسببه آخر فيروس تم اكتشافه من سلالة فيروسات كورونا. ولم يكن هناك أي علم بوجود هذا الفيروس الجديد ومرضه قبل بدء تفشيه في مدينة ووهان الصينية في كانون الأول/ ديسمبر 2019. وقد تحوّل كوفيد-19 الآن إلى جائحة تؤثر على العديد من بلدان العالم.

العوامل والأسباب المؤدية الى خطاب الكراهية

كما سبق و أشرنا من قبل لا يحد مفهوم الشباب هنا، بفئة عمرية معينة فقط، بل بأجيال جديدة وجدت نفسها في خضم بحر متلاطم من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية، وانتشار البطالة وانسداد الأفق، من جهة، ومن جهة أخرى نشأت محاصرة بأزمة هوية، تتحول يوما بعد يوم أكثر تعقيدا من باقي الأزمات، وتساهم في تعميق حالة التمزق الداخلي لهذه الفئات الشابة التي تعاني من أزمة هوية خانقة، بين تراث ثقيل وحادثة صادمة.

بحيث لا يولد إنسان ومعه شعور الكراهية، فالكراهية هي شعور يتولد مع الوقت ونتيجة عوامل كثيرة تستبدل المحبة الفطرية بالكراهية نتيجة خطابات من جهات متعددة تسهم في بناء الكراهية في النفوس، فتصبح سلاحًا للتدمير الذاتي لأي مجتمع عبر تفكيك بناءه وانقسامه.

عوامل اقتصادية:

لقد قدم تقرير التنمية لسنة 2016، أن ما يقارب 3/1 سكان المنطقة العربية هم من فئة الشباب في أعمار 15-29 سنة. حيث لا زال شباب المنطقة يواجه تحديات عديدة، و مازال كثيرا منهم يتلقون تعليما لا يعكس احتياجات سوق الشغل، فيما أعداد كبيرة منهم، عاطلين عن العمل و مستبعدين من الإقتصاد الرسمي بحيث يجد الشباب صعوبة كبيرة في تحقيق تطلعاتهم المشروعة في العيش الكريم. والخطر هنا أن هؤلاء الشباب يقعون فرائس للإحباط و الشعور بالعجز، و الاغتراب و التبعية، مما يولد حقا و تمشيا خطابيا يولد الكراهية.

أ- عدم تمكين الشباب يزرع بذور عدم الاستقرار:

إن جيل شباب اليوم أكثر تعليما ونشاطا وارتباطا بالعالم الخارجي، ما ينعكس على مستوى وعيهم بواقعهم و تطلعاتهم إلى مستقبل أفضل، إلا أن وعي الشباب بقدراتهم و حقوقهم يصطدم بواقع يهملهم ويسد في أوجههم قنوات التعبير عن الراي المحترم،

الهيئة الدولية للتسامح

والمشاركة الفاعلة وكسب العيش، ما قد يتسبب في دفعهم إلى التحول من طاقة هائلة للبناء إلى قوة كاسحة للهدم. بدايتها عنف لفظي و تعصب ونهايتها تطرف في الخطاب يحمل كراهية معلنة.

ب-افاق الشباب و خطر الفقر:

تشير الأدلة إلى أن الشباب في المنطقة العربية الآن يتعرض أكثر من أي وقت مضى، لخطر الفقر، و الركود الإقتصادي، و فشل الحكم، و الإقصاء، المتفاقمة كلها بعنف الجسم السياسي لبعض الدول و هشاشته. وفي استطاعة التمكين أن يكسر هذه الدوامة ويدفع التغيير التحولي بتغيير علاقات القوة في المجتمع.

عوامل اجتماعية:

إنه تكاثف الشعور بالإحباط؛ الذي يلعب دوره في تحويل الشخص العادي إلى متطرف و متعصب في الخطاب، كما أوضح ذلك عالم الاجتماع الفرنسي جيرالد برونر⁴ في كتابه "الفكر المتطرف؛ كيف يصبح الناس العاديون متعصبين"، حيث يضاف اليأس من عالم خارجي معادٍ إلى الإحباطات الفردية، مما يلهم فئات عمرية وتتحوّل مع تكاثف الشعور بالإحباط هذا إلى العنف اللفظي و بث الكراهية في الخطاب و منه بفعل حركة المقاومة التي قد تجابهها من النظام الاجتماعي السائد.

أحد العوامل الرئيسية هو شعور عام بالاستبعاد وانعدام الفرص يسود في معظم أنحاء المنطقة. وكما توثق في تقرير التنمية لسنة 2016 ، يواجه الشباب في جميع أنحاء العالم العربي عقبات هائلة في تدميتهم الشخصية عبر أوسع نطاق ممكن من المؤسسات، من الثقافية إلى الاجتماعية إلى الإقتصادية إلى السياسية.

لا تنمو الكراهية إلا في المجتمعات غير المستقرة والتي تعاني من انقسامات عرقية و طائفية و مذهبية و تغيب عنها ثقافة التنوع و قبول الآخر، و يقاسي فيها الناس من غياب الأطر والضوابط السياسية والقانونية المنظمة. كما أن للمحسوبيات والمنفعة الخاصة والتهميش والإقصاء الذي تمارسه البطالة دورا في توليد الكراهية والعنف. ومن هنا فان منشطات ومحفزات الكراهية تبدأ من العائلة التي لا تراعي تربية الأبناء على احترام الآخر المختلف و هي الملام الأولى. ثم تليها المجتمعات المنغلقة على ذاتها والتي يسود فيها نمط ثقافي واجتماعي واحد، وتجهل حقيقة الآخرين، تكون عادة فريسة سهلة للتحيّض والكراهية، لأنها مجتمعات لا تقبل الجديد وتتصادم معه وترفض الاندماج معه.

كذلك، الموروث الاجتماعي والديني والثقافي والحضاري يعتبر قيمة معرفية مهمة للأمم والشعوب، لكن القصور في الفهم السليم للتراث والمقاربات الخاطئة له ومحاولة النقل الميكانيكي للتجارب الماضية يسهم في توريث الكراهية كما تورث العقارات.

عوامل ايديولوجية:

الهيئة الدولية للتسامح

الدين و الهوية: للدين دور رئيسي في حياة العرب، بمن فيهم الشباب، إذ يؤثر في شعور الناس بالهوية و توجهاتهم الإيديولوجية والفكرية، كما يؤثر في قيمهم ويحدد شكل مواقفهم تجاه المجتمع والأسرة.

ففي تقرير للمجلس الاقتصادي والاجتماعي⁵ صدر في شهر أغسطس (آب) 2018، توقف معدوه عند تنامي ظاهرة التدين في صفوف الجيل الحالي من الشباب مقارنة مع الأجيال السابقة، بالإضافة إلى انكفاء فئة منهم داخل دائرة التدين رافضة الحدائفة المستوحاة من الغرب، لدرجة أنه قد يتحول هذا الانكفاء إلى انغلاق على الذات، بل إلى تطرف ديني لدى البعض ومنه الى خطابات تدعو الى الكراهية .

هذا الجانب الديني يحظى بتأثير كبير على أيدولوجية الشباب وتوجهاتهم الفكرية وطريقة تعاملهم مع المجتمع ومع أسرهم، بعد أن أضحي الشباب مستهدفا من قبل المرجعيات الدينية، المرتبطة بالتطرف والحركات المتشددة.

دور وسائل الإعلام و شبكات التواصل الإجتماعي في نشر ثقافة خطاب الكراهية

وسائل الإعلام فتيل يشعل خطاب الكراهية:

إن الاختلاف الحاصل في الحمولة الفكرية والثقافية، ليؤكد بجلاء تنامي ظاهرة خطاب الكراهية، بحيث أضحت تجد لها موطئ قدم في مختلف وسائل الإعلام. وبتتبعنا للقاموس اللفظي المستعمل، نجد أن خطاب التعصب صار "ثقافة"، بل والأنكى من ذلك، بتنا أمام كراهية مباشرة من خلال اعتداء جسدي مورس في غير ما مرة مباشرة في برامج على بعض الفضائيات. وبالتالي فإن الخطاب الإقصائي أصبح يشكل تعبيرا للعديد من الفئات الاجتماعية بمختلف ميولاتها وتوجهاتها الإيديولوجية، وصار المجتمع غالبا ما ينحو صوب تربية يغذيها الإعلام أولا، ثم التعليم ثانيا فالظواهر الاجتماعية ثالثا.

و لا شك أن الإقصاء الممنهج يشكل العنصر الأساس في تنامي خطاب الكراهية عبر وسائل الإعلام، والتركيز على الخطاب

الأحادي الجانب يزيد من تأجيج لغة الخطاب التي تشكل أداة التواصل. وبالتالي فإن الحوار الذي يُميّز أو يُفَرِّق بين المؤيد

والمعارض، يُصبح خطاب كراهية قد يصل إلى درجة التعصب، الأمر الذي ينعكس سلبا على المجتمع ويصبح ظاهرة اجتماعية

وسياسية تزيد في تعميقها العملية التواصلية التي تُحدث شرخا بين المتحدثين. بل وتساهم في إظهار كراهية بين الفرقاء قد تصل

درجة التحريض باستعمال الإعلام.

من الواضح أن الانتشار الواسع لوسائل الإعلام والاتصال كفضاء مفتوح، صار ملاذا لممارسة شتى أشكال التمييز وإنتاج خطاب

الكراهية، وهو ما نلاحظه أيضا من خلال دراسة للمحتوى العربي على شبكة الإنترنت، سواء تعلق الأمر بصحافة المواطن أو

المهبة الدولية للتسامح

التدوين القصير من داخل مواقع التواصل الاجتماعي، بحيث يلعب التشبيك دوراً أساسياً في انتشار خطاب الكراهية بمختلف أنماط العنف، المادية منها والرمزية أو الخطابية اللفظية. لهذا وجب ترسيخ ثقافة الحوار والقبول بالرأي المخالف في إعلامنا، الأمر الذي سيصبح معه التسامح كمبدأ مجتمعي يساعد على تطوير المفاهيم والأطروحات الفكرية، وبالتالي نبذ العنف المؤدي إلى الكراهية.

شبكات التواصل الاجتماعي و دورها في تعزيز خطاب الكراهية

مع تزايد أعداد الأشخاص المتصلين بشبكة الإنترنت، أصبحت هذه المنصات قنوات تواصل حيوية للمتضررين من الأزمات والمنظمات التي تحاول الوصول إليهم. مع ذلك، يتيح التدفق المستمر للتبادل المعلوماتي الفوري وغير المنقح إمكانية تحويل هذه المعلومات إلى سلاح - بعبارة أخرى، يمكن استغلالها، إما عن قصد أو غير قصد، على نحو يؤدي إلى تحريض العامة أو تضليلهم أو التأثير عليهم، ما ينجم عنه في الغالب عواقب خطيرة ذات تأثير استقطابي.

هذا المدى الخطير الذي وصل إليه خطاب الكراهية عبر الفيسبوك ووسائل الاتصال الحديثة أدى بالأمم المتحدة إلى تحذير شبكة التواصل الاجتماعي "فيسبوك" بكونها تُخاطر بتقديمها إلى محاكمات جرائم حرب دولية لدورها في انتهاكات حقوق الإنسان المُقبلة، ودعتها لمعالجة خطاب الكراهية بسرعة أكبر. وهو الاستنتاج الذي وصل إليه المفوض السامي لحقوق الإنسان بمنظمة الأمم المتحدة "زيد رعد الحسين" الذي قال: "إنّ فيسبوك تُخاطر بأن تصبح شريكاً في الجرائم المروعة". يأتي ذلك بعد أن قال تقريرٌ أُممي حول الأعمال الوحشية في ميانمار إنّ فيسبوك كانت "أداة فعّالة" لأولئك الذين يسعون لنشر الكراهية.

في خطاب الكراهية الذي يُبث على وسائل الاتصال الرقمية، عادةً ما تؤدي مشاعر عدم التسامح إلى توليد خطابات مفعمة بالكراهية. حيث تتردد أصداً هذه الرسائل، ولديها قدرة خاصة على تأجيج جذوة التوترات القائمة بين الجماعات المختلفة وإشعال فتيل العنف بين أفرادها. هذا فضلاً عن أن ارتفاع عدد الهجمات ضد المهاجرين والأقليات الأخرى أثار مخاوف جديدة من ارتباط الخطاب التحريضي عبر الإنترنت بأعمال العنف. وقد نتسبب الحوادث أو تسهم في إلحاق ضرر وجداني ونفسي واجتماعي. يؤثر استخدام الأدوات الرقمية بهدف تشويه الحقائق ونشر خطاب مثير للفتن تأثيراً قوياً على الأزمات والنزاعات، فضلاً عن زيادته لمواطن الضعف الاجتماعية بسبب مبتكرة وغير متوقعة. وحتى قبل عصر التحول الرقمي، شكّلت تكنولوجيا الاتصالات (مثل، الرسائل المطبوعة والمسموعة والمرئية) قوى راسخة محرّكة للعنف. ويشهد التاريخ الحديث على بعض الأمثلة المروعة على استخدام الدعاية وخطاب الكراهية بما أسفر عن حدوث آثار مهلكة، ومن أشهر الأمثلة على ذلك الإبادة الجماعية في رواندا

الهيئة الدولية للتسامح

والنازية. مع ذلك، في المجال الرقمي يمكن للتهديدات التي تنقلها المعلومات التطور بسرعة كبيرة تتجاوز إمكانات أولئك الذين دأبوا على التقليل من شأن الأضرار المحتملة.

أسباب تفاقم ظاهرة خطاب الكراهية على شبكات التواصل الاجتماعي

جاء خطاب الكراهية عبر شبكات التواصل الاجتماعي مُمكنًا للاعتبارات التالية:

- أولاً: أتاحت الشبكة العنكبوتية، الهوية المجهولة لأعضاء التواصل الاجتماعي، لا أحد يعرفهم. يمكن أيضاً للعضو الواحد أن يفتح عدّة حسابات بهويات مُستعارة. بحكم الطابع المجهول لمواقع التواصل الاجتماعي (anonymat) ، فإنّ كلّ عضو يمكنه أن يدلّو بأية إشاعة وبأي خطاب، بما في ذلك خطاب الكراهية. لا يخشى شيئاً ما دامت هويته مجهولة.

ثانياً: خطاب الكراهية لدى عامة الأعضاء في مواقع التواصل الاجتماعي، ويغلب على هذا الخطاب الشتم والتخوين والتكفير، بايعازٍ من أيديولوجيات أو حساسيات سياسية أو دينية. فالمعارك الفيسبوكية هي في الغالب محمومة، تنفجر فيها العواطف والردود المُنفعة للشباب ويقل الهدوء العقلي والتعليل المنطقي؛ تلجأ إلى التشهير، بالبحث في الحياة الخاصة للشخصيات عمّا يُشبع إرادة الانتقام والتشفي. ثمّ إنّ الإشاعات والمعلومات الكاذبة (fake news)، دون تزيُّث أو تحرّ، تزيد من حدّة الانتقاد والتهمّ. يمكن القول بأنّ مواقع التواصل الاجتماعي أصبحت منابر للتفتيس أكثر منها فضاءات للتواصل والتبادل؛ يغلب عليها رفض الآخر والقبح في عرض الناس والتشكيك في نواياهم..

خطاب الكراهية في زمن الكورونا

مشاعر حقّد تنفجر زمن الكورونا:

تعد سرعة تفشي وباء كورونا في العالم محط دهشة جميع الخبراء والمختصين في علم الأوبئة والفيروسات، و أثارت استغراب حتى المراقبين والمتابعين لانتشار هذا الفيروس من عامة الأفراد، حيث يواجه العالم أزمة غير مسبوقه متمثلة في حالات طوارئ الصحة العامة العالمية لفيروس كورونا (كوفيد - 19). والتي تجعل ضمان حقوق الإنسان للجميع تحدياً بالنسبة لكل دولة. وليس هذا هو الوقت المناسب لإهمال حقوق الإنسان. بل إنه الوقت الذي نكون فيه بحاجة إلى حقوقنا أكثر من أي وقت مضى حتى نتخطى ونتجاوز هذه الأزمة بكرامة واحترام.

الهيئة الدولية للتسامح

إلا أنه وفي ظل هذا الزخم من الترقب ظهرت حرب كلامية بين الحكومات تتهم الصين بسلسلة اتهامات قوية. و وسط كل هذا السجال الحاد بينهم، كان لكبار المفكرين آراء متباينة حول ما يحدث اليوم في العالم، لكنهم يجتمعون في فكرة أن الجائحة ضربة موجعة لكل اقتصاديات العالم، حيث جاءت على حين غرة من الحسابات السياسية لمختلف القوى العالمية. و من أبرز هؤلاء المفكرين نجد المفكر الأمريكي "نعوم تشومسكي Noam Chomsky" الذي وصف كورونا بأشد صدمات العصر، كما حذر من التسابق باتجاه الكارثة التي يجري نحوها العالم، ومن التبعات الاقتصادية والاجتماعية الوخيمة الناتجة عن انتشار الوباء. حيث استغلت بعض الاتجاهات الفكرية وغيرها من الجماعات المتطرفة جائحة فيروس كورونا "كوفيد-19"، في العمل على تنامي وتيرة خطاب الكراهية ضد المهاجرين الاجانب وجذب متعاطفين جدد.

وقد قالت "كلوديا والنر" الباحثة في مركز دراسات الأمن القومي "ريسي" بالمملكة المتحدة، بعنوان "اليمن المتطرف والفيروس التاجي: أصوات متطرفة تضخمها الأزمة العالمية" والصادرة في أبريل الماضي إن جماعات اليمين المتطرف استغلت أزمة فيروس كورونا بنشاط من خلال الترويج لنظريات التضليل والتآمر لتعزيز أجندتهم المعادية للمهاجرين أو المناهضين للحكومة وجذب مجموعة جديدة من الأتباع.

أن حالة عدم اليقين والخوف والآثار النفسية والاقتصادية هي بيئة مثالية لنظريات التآمر والتضليل، واستطاعت بعض الشوائب المستقطبة للشباب قصد استغلالهم، الاستفادة من هذا الخوف الواسع لانتشار الفيروس والإجراءات الحكومية المرتبطة به لإدخال ونشر مجموعة واسعة من نظريات تشجيع العنف بدوافع عنصرية والعنف السياسي وحتى الإرهاب البيولوجي. وهذا ما لاحظناه تجاه الجالية الاسيوية خاصة.

إلا أن قضاء المزيد من الوقت للأفراد خاصة من فئة الشباب على الأنترنت بسبب الحجر الصحي في البلاد، قد زاد من فرص تجنيدهم وانضمامهم لجماعات متطرفة فكريا والمنتزاد نشاطهم على مواقع التواصل أيضاً.

- دعوات للعنف والإرهاب البيولوجي:

تزايدت التحذيرات من تنامي استخدام اليمين المتطرف الوباء في نشر الكراهية ضد الاجانب، وفقاً لتقرير نشره "المركز الأوروبي لمكافحة الإرهاب" في ألمانيا في آخر أبريل الماضي بعنوان "اليمن المتطرف: توظيف جائحة كورونا لنشر نظريات المؤامرة"، إذ حذرت هيئة حماية الدستور من تعرض اللاجئين لهجمات من قبل اليمين المتطرف بسبب "كورونا"، إذ يحظى الحديث عن

المهنة الدولية للتسامح

الفيروس باهتمام كبير بين جماعات اليمين، إذ يعتقدون أن تأخر غلق الحدود واستقبال الكثير من المهاجرين هو السبب الرئيسي في تفشي الوباء. و قالت "هيومن رايتس ووتش" إن على الحكومات أن تتخذ خطوات عاجلة لمنع العنف العنصري وكرهية الأجانب والتمييز المرتبطين بوباء كوفيد 19 الناتج عن فايروس أثناء مقاضاة الاعتداءات العنصرية ضد الآسيويين والسكان المنحدرين من أصل آسيوي. وتأكيدا لما نقول قال الأمين العام للأمم المتحدة "أنطونيو غوتيريش" في 8 مايو/أيار 2020، : "الوباء أطلق طوفانا من مشاعر الحقد وكرهية الأجانب، ولوم الغير، وبث الرعب في الناس" وحث الحكومات على أن "تبادر إلى تعزيز مناعة مجتمعاتنا من فيروس الكراهية"

و بشكل مباشر كان أو غير مباشر نجد أن بعض كبار المسؤولين قد شجعوا على جرائم الكراهية، والعنصرية، وكره الأجانب باستخدام الخطاب المعادي للآسيويين. فالعديد من الأحزاب والجماعات السياسية، استخدمت أيضا أزمة كورونا لإعطاء دفعة لنظريات معاداة المهاجرين، وتقوى البيض، والقومية المتطرفة، ومعادات السامية، و نظريات المؤامرة المعادية للأجانب، التي تُشيطن اللاجئين، والأجانب، والأفراد البارزين، والقادة السياسيين.

فمنذ تفشي الفيروس، أصبح الآسيويون والأشخاص من أصل آسيوي هدفا للغة مهينة في تقارير وسائل الإعلام وكذلك على منصات وسائل التواصل الاجتماعي، حيث يبدو أيضا أن خطاب الكراهية المرتبط بفيروس كورونا انتشر على نطاق واسع. ونختم هذه الفقرة بما قاله جون سيفتون (مدير المناصرة في قسم آسيا في هيومن رايتس ووتش): "إدانة العنصرية بشكل متكرر، وعلمي جزء مهم من رد أي حكومة على فيروس كورونا. تحتاج الحكومات أيضا إلى تبني مبادرات تعليمية خاصة للجمهور، وتعزيز مراقبة جرائم الكراهية، وتقديم الدعم إلى المجتمعات ضحية التمييز والهجمات ذات الدوافع العنصرية.

الجانب المشرق من أزمة الكورونا:

في العصر الذي شاع فيه التفكير إلا بذواتنا، يأتي فيروس ليضيء من جديد مشاعر الإنسانية، كمنح الاعتبار للآخرين، لصحتهم وحياتهم، خاصة في واقع الكورونا التي مست فئات عمرية أكثر من غيرها، أو ناس مع ظروف صحية خاصة، إلخ... هو زمن مثل فرصة لجني المكاسب الأساسية كالعودة إلى الذات: يحاورها ويسائلها ويتعرف عليها من جديد. وهي فرصة أيضا طور فيها الشباب مهاراتهم الإبداعية في عدة مجالات، حيث يعتبر المفكر المغربي "سعيد ناشيد" أن "كارثة" كورونا "اعادت النوع

الهيئة الدولية للتسامح

البشري إلى المربع الأول، إلى وحدة النوع البشري والمساواة التامة بين البشر وان القدر مشترك ما بين البشرية جمعاء". ويرى أن من ضمن المراجعات الأساسية في مرحلة ما بعد كورونا هي "مراجعة وظيفة الدولة"، معتبرا أن الحضارة المعاصرة كما الغرب "محتاجة لمواجهة النموذج الصيني".

في الوقت الذي اندلعت فيه حروب كلامية وخطابات كراهية بدول عدة، نجد أن الدول العربية استغلت هذا الوضع لإعادة قيم التسامح، فالمواطن الآسوي أو الإفريقي أو غيرهم لم يجد إلا الإحترام بل و الإهتمام في بعض المواقف كما حصل بدولتي تونس و الإمارات. نجد أن حس المواطنة عند الشاب العربي تولد وتكاثر أكثر فأكثر، رأينا شباب ساهموا في المد التفاعلي ومن خلال هذه المبادرات من مشاعر الانتماء، كونهم أعضاء فاعلون في المجتمع. رأينا شباب يدعو للإصلاح يدعو للتسامح، رأيناهم يساعدون و يمدون يد العون للأجانب ، شباب حافظ على قيم نفيسة ظننا لوهلة أنها ضاعت.

ومن ثمة تبين للانسان أنه كائن ضعيف لا يستطيع العيش بمعزل عن الآخر، وأن المحن والشدائد تلعب دورا هاما في إعادة الفرد لعلاقاته المقطوعة بل يحرص على بناء علاقات جديدة حتى لو كان التواصل عن بعد بسبب ظروف حظر التجول. وتحويل تلك المشاعر إلى سلوكيات من شأنها أن تقوي الأواصر الاجتماعية كتقديم المساعدة للمحتاجين أو نشر بعض الفيديوهات أو الومضات التحسيسية التي تعرف أكثر بهذا الوباء .

إن الإنتقال من المواطنة الافتراضية إلى الإيجابية يتطلب مهارات تنظيمية جديدة لا تقل أهمية عن مهارات ريادة الأعمال في بناء مؤسسة فاعلة. وهذا ما رأيناه في صفوف الشباب، حيث استفاد الكثير منهم من الفرص لتعلم كيفية بناء مجتمع متسامح ويدعو الى الوحدة لا للتفرقة.ومنه يجب استمداد الدروس والعبر من الأزمات و استغلالها لإيجاد فرص للتطور .

آليات تجاوز هذه الظاهرة

تعزيز القدرات و توسيع الفرص: ثنائية تمكين الشباب:

عمليا، يستوجب تمكين الشباب إدخال تغييرات جذرية في البيئة السياسية والإقتصادية والإجتماعية التي تتسبب في إقصائهم. وينبغي لتلك التغييرات أن توسع فرص مشاركة الشباب وانخراطهم في كل المجالات الرسمية، وان تنشط اقتصادا كليا قادرا على انتاج فرص العمل اللائق للشباب و تعزيز قدراتهم على ريادة الأعمال، و أن يرسخ في المنظومة الإجتماعية أسس العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص. و يتصدى لكل الممارسات التمييزية على أساس الهوية أو العقيدة أو النوع الإجتماعي حتى يهدأ الشباب اليوم ويتقلص خطاب الكراهية فيما بينهم.

الهيئة الدولية للتسامح

سبل تجاوز هذه الظاهرة:

إذا كانت العوامل المشار إليها سابقا، وفرت الشروط النفسية والاجتماعية، الفكرية والتقنية، وسهلت انخراط فئة من الشباب العربي، وحرصتهم على تداول خطاب الكراهية الذي تعج به أدبيات هذه التنظيمات، أو على الأقل خضوعهم لتأثيرها، فإن عملية التأثير المضاد لإقناع هؤلاء الشباب تكون بترك الفكر المتطرف في الخطاب وفتح أبواب وسبل الحوار أمام الشبان مع التذكير دائما وأبدا بأساليبه وآدابه، ومنه فإن المطلوب هو تطوير خطاب بديل ممنهج نحدد فيه ماذا نريد أن نقدم للشباب، فالخطاب البديل يقوم على عبارات مقبولة على نطاق واسع.

ومنه وجب التفكير في ما يلي:

- تعديل وتطوير المناهج المدرسية: اجتناب أفكار التطرف والكراهية من المناهج التعليمية وتعديلها بما يخدم تعزيز فكر الاعتدال والتسامح الديني وتنمية ثقافته التسامح وقبول الآخر في منظومة التعليم من خلال تطوير أنشطة لامنهجية للطلبة تعزز مفاهيم الرأي والرأي الآخر والاستماع للآراء المختلفة واحترامها. حيث أن الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية
- الاعلام: وفي هذا المجال لا بد ان يتحمل طرفي الاعلام الحكومي والخاص مسؤولياتهم من حيث عدم نشر وبث الفكر المتطرف الاقصائي وزيادة التركيز على نشر الافكار التي تدعو للمحبة والتعاون والانفتاح بين الثقافات المختلفة وقبول الآخر لا سيما وان وسائل التواصل الاجتماعي من خلال الشبكة العنكبوتية تلعب دورا مؤثرا في تشكيل الرأي العام وثقافات الافراد والمجتمع ومن هنا لا بد من توقيع ميثاق شرف ينبذ ويمنع نشر الفكر المتطرف وتدريب كوادر أجهزة الاعلام ووسائله المختلفة للتمييز بين خطاب الكراهية وحرية التعبير عن الرأي.
- الضوابط القانونية والتشريعات: لا بد من تشريعات تجريم وتمنع نشر خطاب الكراهية واي خطاب من شأنه ان يثير العنف او يدعو الى اثاره الفرقة بين المواطنين بأي شكل من الاشكال من خلال جميع وسائل التواصل المعروفة مثل الصحف والمجلات ومواقع التواصل الاجتماعي والمنتديات والمحاضرات في الاماكن العامة ومنابر دور العبادة،
- الخطاب الديني: لا ينكر احد اهمية الخطاب الديني في تشكيل ثقافة مجتمعاتنا التي تتصف بالتدين بشكل عام وفي هذا المجال لا بد من التركيز على توعية رجال الدين بعدم الترويج للافكار المتطرفة والتأكيد على قيم المحبة والتسامح التي اكدت عليها الاديان كافة وتطوير لغة حوار جديده يفهمها الشباب وتؤثر فيه تعتمد على الاقناع والمنطق وتقديم القدوة الحسنه ونشر نماذج التميز وتصحيح المفاهيم المغلوطة

الهيئة الدولية للتسامح

- تفعيل و تشجيع دور مؤسسات المجتمع المدني مع المرافقة و التوجيه وقت الضرورة.
- تعزيز ثقافة الحوار والاختلاف وقبول الآخر بالتوازي مع الإصلاح على المستويات كافة ومحاربة الفساد.

خاتمة

مازال عالمنا المعاصر عرضة لجميع أشكال النزاعات و التوترات، و يشهد من فترة و أخرى هبات من التمردات و الإنتفاضات السلمية أحيانا، و العنيفة المدمرة أحيانا أخرى. و على الرغم من وجود عديد الموثيق و الإتفاقيات الدولية المتعلقة بظاهرة خطاب الكراهية و التطرف في الحوار، فإن معاني هذه الموثيق و ما تحمله من قيم ثقافية و سياسية مازالت محل جدل و لم تتجاوز مستوى السرديات الدعائية و لم تؤثر في حفظ الأمن و السلم الدوليين الا في بعض المناطق على غرار دولة العربية المتحدة التي تسعى جاهدة لنشر قيم التسامح بإرسائها وزارة التسامح و تخصيص فعاليات خاصة بالموضوع. و ستظل ظاهرة خطاب الكراهية من أكثر الظواهر والقضايا التي تشغل جميع دول العالم، طالما أنها اتخذت الوانا واشكالا متعددة.

فهل تتقلب الموازين و يعود العالم العربي المصدر الأول لقيم التسامح و الالتزام بها بعد جائحة كورونا؟

الهيئة الدولية للتسامح

المراجع

- William Grenier-Chalifoux, Radicalisation hors ligne: le rôle des réseaux sociaux dans le passage à l'acte terroriste islamiste (1990-2016), Université du Québec à Montréal, 2017
- Gérald Bronner, La Pensée extrême: Comment des hommes ordinaires deviennent des fanatiques, Paris, Denoël, 2009

الدراسات:

- مراد قطبي، شبكات التواصل الاجتماعي والفضاء العمومي الافتراضي بالمغرب، مجلة الدراسات الإعلامية: العدد الرابع، أغسطس/ آب 2018، ص 246-268 تصدر عن "المركز الديمقراطي العربي" ببرلين.
- خالد لمسيح، شبكات التواصل الاجتماعي وتكريس خطاب الكراهية، العدد الأول من مجلة "باحثون" والمتخصصة في العلوم الاجتماعية والإنسانية. يناير/ كانون الثاني - مارس/ آذار

التقارير:

- تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2016. الشباب وفاق التنمية الإنسانية في واقع متغير.
- تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، مبادرة وطنية جديدة لفائدة الشباب المغربي أغسطس/ آب 2018
- <http://www.dgapr.gov.ma/Documents/rapp2017.pdf>
- <http://unesdoc.unesco.org/images/0025/002594/259485a.pdf>
- <https://www.hrw.org/ar/news/2020/05/12/375044>
- <https://democraticac.de/?p=66116>

[4] Gérald Bronner, La Pensée extrême: Comment des hommes ordinaires deviennent des fanatiques, Paris, Denoël, 2009, p 251